التحالف الروسي - النمساوي وحروبهم ضد الدولة العثمانية (١٧١٠ - ١٧٩٢م)

المدرس الدكتور
أحمد صالح علي محمد
باحث مستقل جمهورية مصر العربية
ahmedsaleh4464@yahoo.com

يبدأ القرن ١٨م بجلوس السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣ - ١٧٣٠م) على عرش الدولة العثمانية، حيث قام بتوزيع أموالا طائلة على الانكشارية وسلم لهم في قتل المفتي فيض الله أفندي لمقاومته لهم في أعمالهم، وهو أول مفتي يقتل في تاريخ الدولة العثمانية لكن وبعد أن عادت السكينة اقتص السلطان أحمد الثالث من رؤوس الانكشارية، فقتل منهم عددا ليس بقليل، وعزل في ١٥ نوفمبر عام ١٧٠٣م الصدر الأعظم نشانجي أحمد باشا الذي قد عينه الانكشارية وقت ثورتهم، وعين بدلا منه زوج أخته حسن باشا وقد قام حسن باشا بتجديد الترسانة وإنشاء كثير من المدارس،لكنه كان هدفا للدسائس، وبذل المفسدين جهدهم حتى تحصلوا على عزله في ٢٨ سبتمبر عام ١٧٠٤م، ومن بعده كثر تغيير الصدور العظام في الدولة لفترة طويلة[١]. وكنتيجة طبيعية لما يحدث داخل الدولة من عدم استقرار فهو ينذر بقيام الحرب.

١. حرب الدولة العثمانية وروسيا القيصرية (١٧١٠ ـ ١٧١٣م):

خسرت الدولة العثمانية كثيرا من أراضيها بموجب الصلح مع دول الحلف المقدس وروسيا القيصرية في نهاية القرن ١٧م، بعد ذك ظل الوضع على ما هو عليه بموجب تلك المعاهدات التي كانت حبرا على ورق حتى نهاية العقد الأول من القرن ١٨م.

ونتيجة لعدم حصول روسيا على ما أراده بطرس الأكبر وهو الوصول إلى المياه الدافئة عن طريق الملاحة في البحر الأسود، وبما أن المعاهدة التي تم إبرامها مع الدولة العثمانية هي حبرا على ورق بل وقد منعت وصول الروس إلى البحر الأسود، من هنا توجه بطرس الأكبر لمحاربة ملك السويد ليسيطر على بحر البلطيق، لكن ملك السويد شارل الثاني عشر[٢] صد أي هجوم قام به بطرس الأكبر، وقد انتصر ملك السويد على الدنمارك، وبولونيا، وروسيا واستولي على بولونيا ودخل إلى أعماق روسيا[٣].

وقد حاول شارل الثاني عشر كثيرا لإدخال الدولة العثمانية في الحرب ضد روسيا، لكن دون جدوى، ففي تلك الأثناء، كانت الفرصة سائغة لقيصر روسيا بطرس الأكبر، حيث تمكن من لم شعثه وانتصر على ملك السويد وصده وتتبعه داخل الأراضي العثمانية(٤). مع ذلك فلم يستطع بطرس الأكبر أعلان الحرب في جهات عديدة مع السويد والدولة العثمانية وبولونيا(٥).

ويذكر حسن خوجة في ذلك قائلا: (وكان ملك السويد أحد ملوك النصارى، وقعت بينه وبني ملك موسكو عداوة وحروب، فوقعت الهزيمة على ملك السويد وهرب إلى جانب الدولة العلية، والتجأ في ظل حماية السلطانة العثمانية، فقبله السلطان وأكرمه وأحسن نزله، وعين له تعيينات ملوكية، واصرف عليه أموالا لا حد لها فأرسل ملك الموسكو يطلبه مرارا وألح في طلبه، وأرسل مكاتيب بالتهديد والوعد والوعيد وكان الوزير إذ ذاك شورلي على باشا، فاخفي عن السلطان تلك المكاتيب، ومقالات الكافر ملك الموسكو، وكان يلاطف السلطان في تسليمه خوفا من أقوام الموسكو وعداواتهم، فلم يسلم فيه السلطان بل زاد في إكرامه، فألح الكافر ملك الموسكو في طلبه، وجهز الجيوش وتجاوز الحدود، ودخل إلى بلاد العزق (آزوف) والبوغدان وهم من رعايا السلطان والوزير يكتم ذلك، وشاعت هذه الأخبار، وأرسل خان القرم مكاتيب يخبر حضرة السلطان بحركة الموسكو ومقالاته الشنيعة، فلما تحقق ذلك فعزل الوزير على باشا، وقلد الوزارة لبلطجي محمد باشا، ولما تقرر عند السلطان أن طائفة الموسكو وملكهم الغدار قد تحرك بالفساد والغارة ونهب البلاد، واستولي على بلاد العزق (آزوف) وقلعتها وهي تعد من مملكته المحروسة، وتمادي وزاد، نهاه السلطان عن ذلك وحذره من ذلك، فما ازداد إلا كفرا وطغيانا، وأظهر شقاقا وعصيانا وتجاوز الحدود، وحدثته نفسه الأماني وغره الشيطان، وحشد الجيوش واستنجد ملوك النصارى من جميع طوائف المشركين الكفار، ودخل بلاد البوغدان وبلغ إلى مكان هناك يسمي، ياش (عاصمة البوغدان) وهجم على الممالك العثمانية والحدود الإسلامية، فلما بلغت هذه الأخبار إلى أعتاب السلطان العليه، وطرقت مسامع الدولة العثمانية، تحرك السلطان الغازي أحمد خان الثالث بالعصبية والغيرة الإسلامية، وصدرت الأوامر الشريفة الخاقنية بتجهيز عساكر الرميلي (روم ايلي) والانادولي (اناطجولي) و طائفة الينجرية (الانكشارية)، والطوبجية والجابجية وأسباهية

التتار، وجميع بلوكات الباب العالي بالحضور في أول وقت الربيع، فلما آن وقت الربيع وأزهرت أنواره، وتفتحت أزهاره، أقبلت جميع العساكر من كل ناحية ومكان، وكان الجمع في صحراء أدرنه، وقدم على جميع العساكر الوزير المعظم والسردار المكرم بلطجي محمد باشا وجهزه بجميع ما يحتاجه من أدوات الحرب والقتال، والمدافع العظام والبونبات الكبار، والذخائر وغير ذلك، واهتم لهذا السفر المبارك غاية الاهتمام، وهذه أول غزوة غزاها من حين تولي السلطانة والملك)[٦].

بعد أن أعلنت الدولة العثمانية الحرب على روسيا في ٢٠ يناير ١٧١١م[٧]، وتم تجهيز الجيش للخروج بالحملة في الربيع وتحديدا في ٩ أبريل عام ١٧١١م، سار بلطجي محمد باشا من استانبول مع ١٢٠ - ١٤٠ ألف من القوات العثمانية والقرمية مجهزين بكافة المؤمن والذخائر[٨].

وبالفعل قد قامت القوات الروسية بقيادة بطرس الأكبر بالتقدم صوب نهر الطونة[٩]، مستفيدا من الاضطرابات التي ستحركها حركات عصيان من نصاري الروميللي. وهكذا التقي الجيش الروسي الذي دخل إلى البغدان وتقدم على طول نهر بروت وحاصره، لذا اشتهرت هذه الحرب بحرب بروت، وقد التقي بطرس بالقوات العثمانية في وقت غير متوقع، وقد حاول الأخير منع الجيش العثماني من عبور نهر بروت[١٠]، و الجدير بالذكر كانت المناورات دولت كيراي الجريئة وإنشاء الجسور على طول نهر بروت وعبور الجيوش العثمانية في نفس الوقت، دور بارز في تحقيق عنصر المفاجآت للجيش الروس[١١]، وقد ساهم عثمان باشا في عبور القوات العثمانية والقرمية أيضا، حيث أنه قد تمكن وتحت النيران والقصف الروسي من نصب ٤ جسور والعبور بالجيش بسرعة إلى الضفة الشمالية، من نهر بروت[١٢].

وتعبر القوات الروسية بـ ٣٦ ألف من المشاة، و ٦٠٠٠ من الفرسان و ١٢٢ مدفع[١٣]. وتم محاصرة جميع القوات الروسية، بما فيهم بطرس الأكبر نفسه في يوليه ١٧١١م، وفي البداية استطاع الروس إجهاض هجمات الانكشارية الأولى[١٤].

وفي ذكر التجهيزات الروسية والعثمانية لحربهم، فقد أشار نفر من المؤرخين لتلك التجهيزات قائلا: (ورحل الوزير بلطجي محمد باشا) بالعز والاحترام... وسار صوب

المقصود متوكلا على الملك لوجود وجهز أيضا العمارة البحرية بنهر الطونة وشحنت المراكب والغلايط وقدر المائتين من الفراقط[١٥]، فكانت الجملة قدر الثلاثمائة مركب لمدافعه العدو الكافر من بحر الطونة ورحل الوزير المعظم يقطع المراحل ويطوي المنازل، وكان قد أرسل للطلايع عساكر التتر (القرمية) فجاءه الخبر فجأة بأن جيوش المشركين بلغوا إلى مكان هناك يعرف بوادي بروت ونصبوا عليه طابوراتهم (الدافع)، فلما بلغ الوزير إلى الوادي المذكور، وحد الكفار متحصنين بثلاث طابورات قبالة الوادي من الناحية الأخرى، فنزل مخيمه قريبا من الوادي المذكور وأرسل الوزير الأكرم باستعجال من تأخر من العساكر المصرية، وغيرهم من الجيوش الإسلامية، وأمر بالجد في المسير و اللحوق به، فجدوا السير ليلا ونهارا، ولحق بحضرة الوزير جميع العساكر وأمر بعمل ثلاث قناطر (جسور)، وتأهبت العساكر للعبور، فلما باشروا في العلم هجمت الكفار على المباشرين وأرادوا منعهم فلما بلغ الخبر إلى حضرة الوزير أمر طائفة الينجرية (الانكشارية) لمدافعه الكفارة المانعين لعلم القناطر، فناوروهم القتال واشغلوهم غاية الاشتغال وباشروا الفعالون في أعمال القناطر، وكان مباشرتهم في العمل وقت صلاة العصر، فما كان وقت صلاة العشاء إلا وأحضرت قنطرتان، وعبرت عساكر الينجرية وتمكنوا بمتارس على رؤوس القناطر لمحافظتهم، وركبوا عليهما الدافع وصانوهما من كيد الأعداء، وبات معهم تلك الليلة باشة الارنوط، وشرقجي باشهم الطلايع، وعبر الوزير الأعظم في تلك الليلة أيضاً، ونصب مخيمة العالي على شاطئ الوادي قريبا من متارس المسلمين، وكان بينهم وبين طلايع الكفرة المشركين قدر رمية المدفع، وكل من الفريقين بات على أهبة للحرب، فوقعت اتفاقية غريبة، وهي أن من الاتفاق الرباني والعون الصمداني أن انطلق حصان من القيد في آخر تلك الليلة، وتوجه نحو العدو، فلما أحسن به العسس (جنود استطلاع العدو) ظنوا أن عساكر المسلمين قد هجمت عليهم، وكانوا على أهبة مترقبين ففزعوا وتحربوا وأطلقوا بعض مدافع ومكاحل، ولعجت نيران الحرب ووقع هرج عظيم، فلما سمع ذلك العساكر الإسلامية، ظنوا أيضا أن الكفار قد هجمت عليهم، وكانوا على أهبة مترقبين العدو، فتحركت عساكر الإسلام والمسلمين، وأعلنوا بكلمة التوحيد ضربت الطبول وزعق النفير، كأنما نفخ في الصور يوم النشور، وهجموا عليهم بالتهليل والتكبير، وأخذت طلايع الكفار في الأدبار والانهزام والفرار، وأوقعوا فيهم السيف، وجئ بكثير منهم في القيد والنكال، فلما أصبح الله بخير

الصباح عبرت بقية العساكر الإسلامية والجيوش العثمانية متوكلين على الله باذلين أنفسهم في سبيل الله متوسلين برسول الله، وهجموا على الطابور الأول، ومعهم عساكر التتر، وقابلت الكفار بأحقادها، وقاتلت المشركون بغلظ أكبادها، وقاتلهم المسلمون طول النهار، وقاتلهم الموحدون برمي المدافع الكبار، والقوا عليهم الصواعق ومحرقات النار، فكاد النهار أن ينقلب ليلا بدخان البارود البارق، ونيران البنادق والصواعق وأقدم الأبطال المشهرون والشجعان المخبرون، من أظهر بشجاعته اليد البيضاء أية للناظرية، طالبا من الله النصر وهو خير الناصرين، باذلين أنفسهم في سبيل الله ولم يبال أحدهم على أي جنب صرع في الله، وأذاقوهم كئوس ريب المنون، وصدمتهم العساكر الموحدون، وملكوا الطابور الأول والثاني، وأحاطوا على ما فيه بالعون الرباني وأوقعوا السيف فيهم، ومن هرب منهم تمكن بالطابور الثالث مستقر ملكهم، وكان مسافة الثلاث طابورات قدر الستة أميال، فلحق بهم العساكر الإسلامية والجيوش العثمانية، وأحاطوا بهم إحاطة الطوق بالعنق، وداروا به دوران الأفلاق بالأفق وهو الطابور الأكبر وفيه ملكهم [١٦]

والشاهد من كل ما ذكر، أن التفوق المادي والمعنوي كان في صالح القوات العثمانية الإسلامية، ولم يكن بإمكان الجيش الروسي النجاة من هذا الحصار[١٧] حيث كان بطرس الأكبر يتحاشى الدخول في حرب ميدانية مع العثمانيين، لذا اختبأ في الخنادق التي حفرها على عجل[١٨].

وشارك في هذا الحصار المحكم الشديد جملة من عسكر مصر والانكشارية وبعضا من عسكر الرميللي، وطال الحال واشتد القتال من طليعة النهار إلى ما بين الصلاتين.. وحشد جميع العساكر من طائفة الانكشارية ومعهم ثمانون مدفعا، وصحبتهم رماة فيهم من يرمي عل عن الحدق ولم يخطي من الدرع الحلق، فحرقوهم بالنار، وساقوا أكثرهم إلى جهنم ودام الحال واشتد القتال وأمر الوزير بإلحاق المدافع الكبار ووجهوهم إلى طابور المشركين الكفار... وتمادي الأمر وطال إلى وقت الزوال، فلما رأت الكفار أنهم مقهورون وبسيف القهر مأخوذون يأسوا من أنفسهم، وما أفادهم إلا أن نكسوا ألويتهم والقوا السلاح ونصبوا العلامة البيضاء، وصاحوا بلسان واحد الأمان يا آل عثمان الأمان... حي إجابتهم الجيش العثماني بثلاثة أيام[١٩].

والجدير بالذكر أن بطرس الأكبر قد دخل الحرب ضد الدولة العثمانية على أمل أن المسيحيين في الأمراض العثمانية سيرفعون لواء الثورة، فلم يتحرك منهم أحد[٢٠].

وفي سياق الأحداث، وأصل الصدر الأعظم بلطجي محمد باشا بإصدار أوامره لزحف الجيوش العثمانية، لنم وصلته الأنباء بأن الروس يسعون لعقد صلح معه الدولة، وفي البداية لم يقبل الصدر الأعظم هذا العرض من الروس، إلا أنه لما علم بأن الجار مستعد للتنازل عن قلعة آزوف، وقلاع أخرى هامة قبل العرض، وأصدر أوامره بتجميد العمليات العسكرية ضد الروس![٢١].

كانت معاهدة بروت، محاولة لإنقاذ الجيش الروسي: و قام البارون شافيروف (السكرتير الأول للسفارة الروسية في استانبول) بالتفاوض وكان أصله يهوديا، وبالفعل قد تمكن الممثل الروسي من الاتفاق مع العثمانيين في وقت قصير، حيث تم التوقيع على المعاهدة[٢٢]، رغم أن خان القرم دولت كيراني والكونت بونياتوفسكي سفير السويد وممثل الملك شارل الثاني عشر كانوا معترضين وبكل شدة على عقد تلك المعاهدة[٢٣].

وقد ذكرت عدة روايات على سبب خضوع الصدر الأعظم بلطجي محمد باشا إلى طلبات روسيا لقبل الصلح: الرواية الأولي أن مبعوث بطرس الأكبر كان بحوزته أثناء الصلح مجوهرات بالغة القيمة لإقناع الصدر الأعظم عقد الصلح وتقديمهم للأخير كرشوة، والرواية الثانية هو اعتقاد بلطجي محمد باشا في عدم إمكانه اجتياز الخنادق والاستحكامات الروسية جبرا[٢٤]. أما الرواية الأقرب للصواب فهي الثانية، مع أن بلطجي محمد باشا لو استغل تلك الحرب واغتنم الفرصة لتمكن من نفي الجيوش الروسي بالكامل وياسر بطرس الأكبر وخليلته كاترينة لأنهم نقضوا عهدهم الذي أبرمته الدولة معهم عام ١٧٠٠م.

على الرغم من ذلك، كانت الدولة العثمانية، قد أفنت جيوشا روسية كثيرة جدا، ولكن روسيا ما زالت حية، لكن الحكاية التي رويت فيما بعد، حول مقابلة بلطجي محمد باشا لعشيقة القيصر وإمبراطوره المستقبل كاترينا، ومقابلتها للصدر الأعظم وإغراءه بالمال والمجوهرات، هذه الرواية ليس لها أي أساسا من الصحة، فبلطجي لم يقابل لا القيصر ولا الإمبراطورة أبداً[٢٥].

والراجح هنا أن بلطجي محمد باشا لا يغفل أن كاترنيا إذا استمرت الحرب كانت

ستكون له سببه، وأن كل مجوهراتها وروسيا بالكامل ستكون له وللدولة العثمانية، لذلك فكانت هذه التهمة ملفقة لبلطجي محمد باشا(٢٦).

وفي ٢١ يوليو ١٧١١م اتفق الطرفان على المعاهدة ومن شروطها كالتالي: (شرط عليهم بلطجي باشا تسليم قلعة آزوف، وترك جميع ما فيها من المدافع وآلات الحروب، وشرط عليهم أيضا هدم قلعة طغيان بجبل الصمار، ثم من الشروط أيضا تخريب قلعة قومانكة إلى الأساس، ويتركون جميع ما كان عندهم فيما من المدافع وآلات الحروب أيضا، وأن ترفع أيديهم مع جميع تلك الأماكن، وعن قرأها وراضيها ورعيتها، وأن لا يبني في ذلك المكان قلعة ولا حصن من بعد أبداً من الجانبين، وشرط عليهم أيضا رفع اليد وعدم التجاوز.... ولابد من التزام الطاعة وما يؤدونه في كل سنة ٤٠ ألف دينار ذهبا لمدة سبع سنين عاجلة، وكتبت الوثائق وختمت من الجانبين) (٢٧).

وعلى الرغم من كل تلك الشروط التي احتوتها معاهدة بروت وكل هذه المكاسب العظيمة لم تكن إلا حبرا على ورق، ولم ينفذ منها أي بند وكانت الدولة العثمانية في هذه المرحلة من تاريخها، قد فضلت المنافع التي قد تتحصل عن تطبيق هذه المعاهدة على الاستمرار في الحرب، في حين أنه كان في مقدور الجيوش العثمانية القضاء على الجيش الروسي، ومحو كل أثر له؛ الأمر الذي أبرز القصور السياسي للإدارة والقيادة العثمانية في تفويت هذه الفرصة العظيمة لإجهاض القوة الروسية في المنطقة، وقد أكدت الوقائع التي حدثت عقب توقيع هذه المعاهدة استغلال الروس لحسن نية بلطجي محمد باشا، وعدم درايته بأساليب السياسية الملتوية التي استحدثت في أوروبا آنذاك(٢٨).

وقع بلطجي محمد باشا تحت تأثير كتخداه انطالية لي عثمان أغا، وكاتبه عمر أفندي، الأمر الذي جعل السلطان أحمد الثالث وأركان الدولة يشعرون بعدم الرضاء، خاصة بعد ما ذكره دولت كيراي وشارل الثاني عشر ضد بلطجي باشا للسلطان، حيث ظل بلطجي باشا لمدة طويلة بغرض الأشراف على تنفيذ البنود التي وردت في معاهدة بورت، لكن دون جدوا فلم تنفذ روسيا بنود المعاهدة، فثبت بذلك عدم حسن النية الروسية، فبادر السلطان بعزل الصدر الأعظم بلطجي محمد باشا بعد عودة إلى أدرنة بنفسه إلا بعد إيقانه بأن الروس يماطلون في تنفيذ بنود معاهدة بروت، لكن دون جدوى فلم تنفذ روسيا بنود المعاهدة،

فثبت بذلك عدم حسن النية الروسية، فبادر السلطان بعزل الصدر الأعظم بلطجي محمد باشا بعد عودة إلى أدرنة في ٢٠ نوفمبر عام ١٧١١م[٢٩].

عين السلطان يوسف باشا صدرا أعظم، ومن بعده سليمان باشا، وعندما لم يرض القيصر بإعادة آزوف جاء السلطان بنفسه إلى أدرنة للخروج إلى الحرب[٣٠].

لم يخرج السلطان إلى أدرنة بنفسه إلا بعد إيقانه بأن الروس يماطلون في تنفيذ بنود معاهدة بروت، فقد شرع السلطان لإعلان الحرب من جديد على روسيا؛ ولا زالت الاستعدادات لخروج الحملة الجديدة مستمرة حتى خضعت روسيا أخيرا، وقامت بتسليم قلعة آزوف للدولة، وتم هدم القلاع المتفق عليها، وبالفعل عقدت معاهدة أخرى بين الطرفين في أدرنة بواسطة سفراء إنجلترا وهولندا وذلك في ٥ يونيه عام ١٧١٣م[٣١].

وصدر الأمر الهمايوني لملك السويد بالعودة إلى بلاده، وبالفعل عاد إلى بلاده، وكان هذا نتيجة لعقد مصالحة أدرنة، حيث غادر الأراضي العثمانية في ١٩ سبتمبر عام ١٧١٤م[٣٢]. بهذا انتصرت الدولة العثمانية على روسيا، ولم يصل بطرس الأكبر إلى هدفه في الوصول إلى المياه الدافئة عبر البحر الأسود، فموجب المعاهدة الأخيرة عاد البحر الأسود كبحيرة عثمانية[٣٣].

ونتيجة لذلك اتجه بطرس الأكبر مرة ثانية إلى الشمال نحو بحر البلطيق، واضطر الروس إلى ترك ساحل مهم في البلطيق بذلك وصت روسيا إلى البحر المفتوحة بمعنى آخر المياه الدافئة[٣٤].

٢. الحلف الروسي ـ النمساوي ضد الدولة العثمانية (١٧٣٦ ـ ١٧٣٩م):

مع بداية العقد الثالث من القرن ١٨م قامت الحرب بين الدولة العثمانية ودولة الفرس، حيث قام الفرس بحصار بغداد، واشتبك الطرفان في معركة شديدة على دجلة، وانكسر الفرس أولا وثانيا، ولكنهم عادوا فانتصروا في المعكرة الثالثة، ووقع السرعسكر طوبال عثمان باشا قتيلا، بعد ذلك أرسلت الدولة العثمانية جيشا آخر بقيادة السرعسكر عبد الله باشا كوبرلي بن مصطفي باشا كوبري، لكنه قتلاً أيضاً، لذلك اضطرت الدولة لعقد الطرح مع الفرس[٣٥]. والجدير بالذكر أن روسيا وحليفتها النمسا لم تتواني ولو للحظة عن استغلال انشغال الدولة العثمانية بحربها مع الفرس، لتحقيق أهدافها المنشودة من أراضي الدولة في البلقان.

وفي الصدد نفسه، حيث اتفقت كل من روسيا والنمسا وبروسيا عام ١٧٢٢م بمقتضى اتفاق سري على أن لا يجوز تعيين ملك وطني على بولونيا خوفا من اتحاده مع الأهالي الأمر الذي يكون من ورائه استقامة أحوال هذه المملكة الداخلية مع أن قصد روسيا وجود الاضطرابات بها دائما حتى تضعف كلية فتستولي عليها بأجمعها أو تقسمها مع مجاوريها تبعا لسياسة لبطرس الأكبر القاضية بالسعي في تلاشي دولتي السويد وبولونيا فالدولة العلية، فلما توفي اوغست الثاني ملك بولونيا انتخب الأهالي في عام ١٧٣٣م ستانسلاس الكزنيسكي ملكا عليهم بسعي فرنسا التي كان من صالح سياستها بقاء بولونيا في العالم السياسي عزيزة الجانب يحكمها ملك من أهلها(٣٦).

وكانت بولونيا في فوضي مستمرة، فانتهزت روسيا من جهة، والنمسا من جهة أخرى الفرصة لأجل اقتسامها، وقاتل ستانسلاس ملك بولونيا قاتلا شديدا، إلا أن الروس تغلبوا عليه، فصارت ولونيا في قبضة روسيا، بينما فرسنا مشغولة بالحرب مع النمسا(٣٧). وساءت العلاقات أكثر وأكثر، حيث أن روسيا قامت بمساندة نادرشاه في الحرب ضد الدولة العثمانية(٣٨).

ونتيجة لذلك أعلنت فرنسا الحرب على النمسا دفاعا عن بولونيا، وسعت فرنسا لدي الباب العالي بواسطة المسيو دي بونفال، الذي خدم الدولة العثمانية بعدان اسلم واشتهر فيها باسم أحمد باشا قائد الطوبجية (المدفعية) لاستمالته للدفاع عن استقلال بولونيا، الحاجز الحصين بينها وبني روسيا، موضحة لها سياسة هذه الدولة الطامحة أنظارها لامتلاك استانبول، كما أوصي بطرس الأكبر، فلم يصغ وزراء الدولة لندائها لجعل في السياسة أو لأسباب أخرى، ولذلك تغلبت روسيا على ستانسلاس واحتلت جنودها مملكة بولونيا بأسرها ووزراء الدولة لاهون عن نتائج هذه السياسة الوخيمة التي ربما كانت السبب في وصول الدولة إلى الدرجة التي هي عليها الآن(٣٩).

ولما أحست النمسا أن فرنسا تسعي وراء التحالف مع الدولة العثمانية فخشيت من حصول هذا الاتفاق الذي يكون نتيجته عدم نجاح مسعاها مع روسيا في بولونيا أسرعت في إرضاء فرنسا، فأبرمت معها معاهدة فيينا عام ١٧٣٥م وأخذت في التأهب والاستعداد للاشتراك مع روسيا في محاربة الدولة العثمانية(٤٠). وفي هجوم مفاجئ قامت روسيا بإعلان الحرب على الدولة العثمانية، حيث قامت روسيا بالهجوم على قلعة آزوف واحتلوها بعد

حصار دام ٣٤ يوما في ٣ مايو عام ١٧٣٦م وتوغل الروس في الأراضي العثمانية حيث اجتازوا ولأول مرة في التاريخ أورقابو ودخطوا ونهبوا القرم، لكن هزم فاتح كيراي الثاني خان القرم الروس وأخرجهم من القرم، وطاردهم إلى أعماق أوكرانيا وعاد إلى القرم ومعه ١٠٠ ألف أسير(٤١).

أضف أي ذلك أنه وبعد عقد معاهدة فيينا بين فرنسا والنمسا، قامت الأخير بعقد اتفاقية سرية مع روسيا، وفيها تحصل النمسا على البوسنة والهرسك، وروسيا تحل على القرم وآزوف، وبعد انكشاف النوايه ليس على الدولة إلا إعلان الحرب(٤٢).

وبالفعل بعدما أتمت النمسا استعداداتها بدأت هجومها الشامل على أراضي الدولة على ثلاث محاور في يوليو عام ١٧٣٧م، حيث توجهت احي الفرق نحو الجنوب من نيش(٤٣)، تحركت فرقة أخرى عبر صاروا جنوبي"بانيالوقة"، وفرقة ثالثة تمكنت من دجخول الأفلاق والاسيتلاء على"بوكرش"، وعلى صعيد آخر، كان الروس قد سيطروا على"اوزي"وأثناء جريان المعرحك على هذا النحو أصدر الصدر الأعظم الحديد"محسن زاده عبد الله باشا"أمرا إلى كوبريللي زاده أحمد باشا باسترداد مدينة نيش، كما كلف حكيم أوغلي على باشا الذي كان يترقب تحركات النمسا بجميع المتطوعين من الكوكللو للدفاع عن البوسنة، وفي هذه الظروف العصيبة التي كانت تمر بها الدولة العثمانية، وقف أحمد باشا في استعادة نيش، كما أوقع على باشا أيضا هزيمة قاسية بالجيش النمساوي مرتين؛ وتمكن ايواز محمد باشا من هزيمة جيشا نمساويا آخر في نواحي"ويدين"، و شربيع عام ١٧٣٨م، خرج الصدر الأعظم محمد باشا على رأس الجيش لاسترداد ادا قلعة، وبلغراد، وبالفعل استعيدت ادا قلعة، كما شنت هجمات متتالية على بلغراد(٤٤).

وقد أشار نفر من المؤرخين، أن انتصار البوسنيين على العدو وفكهم لحصار (بانيالوقا) أدي إلى أضعف الروح المعنوية للجنود النمساويين في بقية الجبهات، وأدي إلى قيام نزاع بين قادة العدو أنفسهم، مما جعل الانتصارات العثمانية تتوالي، مما مكن (كوبرولو زاده أحمد باشا) أمير أمراء الروميلي في الجبهة الصربية من استرداد (نيش) و (شهيركوبو) وغيرها، واستطاع الوزير (ايراظ محمد باشا) محافظ (ويدين) أن يصد جيش العدو الذي وصل إلى منطقته واسترد العثمانيون قلعة (فتح الإسلام) وأحرزوا انتصار كثيرة مختلفة على جبهة الأفلاق والبغدان(٤٥).

واستمر الحال على هذا المنوال حتى أتم الله على الدولة العثمانية بالنصر والفوز على الأعداء حتى طلبت النمسا الصلح بواسطة سفير فرنسا في استانبول، فقبل التوسط بكل ارتياحية وسار إلى الصدر الأعظم ليعرض عليه الصلح بالنيابة عن النمسا، فاشترط شروطا ما كانت لتقبلها لولا انتصار المسلمين، فكان هذا الانتصار أكبر مساعد للوصول لعقد الصلح بين الدولة العثمانية والنمسا(٤٦). ويتضح هنا أن النمسا قد خضعت لقوة الدولة العثمانية، وخسرت على كل الجبهات وانتظرت لسماع ما يملأ عليها من بنود وشروط الصلح.

وعلى الجبهة الأخرى التي تخوض روسيا حربها ضد الدولة العثمانية، فقد استولي الرسول على خوتين في ١٩ أغسطس عام ١٧٣٩م، ثم استولي على باش، لكن أوقفهم صاري أحمد باشا الروس عند نهر بروت، ولم تكن هذه الانتصارات مفيدة للروس، لأن المفاوضات كانت قد تقدمت في هذه الأثناء وكان قد تم التفاهم على أساس المصالحة العثمانية - الروسية(٤٧)،. وللضغط على الروس، قامت القوات العثمانية بدحر القوات السورية، وأجبر الأسطول الروسي في بحر آزوف أن يحرف نفسه(٤٨). وقفت الدولة العثمانية بذلك في موقع المتنصر على الجبهتان.

تم توقيع المعاهدة في ١٨ سبتمبر عام ١٧٣٩م وسميت هذه المعاهدة معاهدة بلغراد، وتكونت من ٢٣ مادة مع النمسا، و ١٥ ماد مع روسيا وبموجبها تقرر الآتي: تم إخلاء بلغراد في ٤ سبتمبر وسلمت إلى الدولة العثمانية، وتنتقل سمنديره وبوغوردلت وادا قلعة إلى الدولة، وكذلك الأراضي التي أعطيت للنمسا بموجب معاهدة كارلوفيتس، التي كانت وصمت عار على العثمانيين، وتهد قلعة آزوف وتعطي أراضيها إلى الدولة العثمانية ويتعهد الرسول والعثمانيون كذلك بعدم إنشاء قلعة فيها، ولا تبحر أية سفينة روسية في بحر آزوف والبحر الأسود، سيحافظ بذلك الحبر الأسود على وضعه كبحيرة عثمانية، ويخاطب الباب العالي، بعد الآن الحاكم الروسي في المكاتبات بـ"إمبراطور"أو"إمبراطورة"، وتعيد روسيا بشكل كامل خوتين وياش اللتين احتلتهما في الآونة الأخيرة، وبدأت كافة الدول تعتبر وجود خوتين لدي الدولة العثمانية، ضمانا لاستقلال بولونيا، وأكرمت الدولة العثمانية فرنسا بمنحها المزيد من الامتيازات التجارية، لكن الباب العالي ظل مصرا لسنوات طويلة، على عدم استعمال لقب"إمبراطور وإمبراطورة"لحكام روسيا، واعتبر فقط، سفراء روسيا معادلين لبقية السفراء لدي الدولة العثمانية(٤٩).

والجدير بالذكر أنه وفي النهاية خرجت النمسا وروسيا من الحرب وجيوشها محطمة، وخزانتها خاوية، وظلت لفترة طويلة في حياد مع الدولة العثمانية.

وعلى أية حال، فقد كانت معاهدة بلغراد، وثيقة تثبت أن الدولة العثمانية، هي الدولة العالمية الأولي، بشكل لا يقبل الجدل؛ حيث أنها حاربت إمبراطوريات روسيا، النمسا، وإيران، وانتصرت وحصلت على أراض. وحققت السلم العام لها لفترة طويلة استمرت لمدة ٢٨ عام، تستطيع الدولة خلالها من تضميد ومعالجة الجروح والخسائر التي نالتها من الحرب(٥٠).

٣. الحرب العثمانية ـ الروسية (١٧٦٨ ـ ١٧٧٤م):

وفي الحرب العثمانية – الروسية الأخيرة (١٧٣٥ – ١٧٣٩م) وبعد الانكسار الأخير خضع الروس للشروط العثمانية، على الرغم من أنهم كانوا متعادلين في حربهم مع الدولة العثمانية، والخضوع هنا بسبب ميزان القوي، فالدولة العثمانية وحتى تلك اللحظة هي القوي الأولي في العالم رغم الضعف الذي أصابها في نهاية القرن ١٧م.

ومن الواضح أن الدولة العثمانية قد اتبعت سياسة الوفاق والصلح خلال المعاهدة الأخيرة، حيث استمر صلح بلغراد لمدة ٢٨ عام و ١٠ أشهر و ١٩ يوما، فهي فترة وفقاً غير اعتيادية عاشتها الدولة، ولعدم دخول الجنود الحرب، نسوا حتى كيفية القتال، أم الجيش الروسي، فقد جهزته الإمبراطورة كاترينا الثانية(٥١) بشكل جيد على الطراز الروسي، حتى ذلك التاريخ لم تكن دولة أوروبية بمفردها قد استطاعت أن تنتصر على الدولة العثمانية(٥٢).

والراجح هنا أن تلك السياسة التي اتبعتها الدولة تجاه روسيا والعالم الخارجي، هي سياسة من طرف واحد، حيث كانت الرغبة الروسية العارمة للسطو على أراضي الدولة العثمانية، تسبب حالة من القلق واضطراب في السياسة العثمانية عموما، فقد كانت روسيا تتدخل في الشئون الداخلية حيث حرضت دانيال سلمون أمير كورجستان (جورجيا) حتى يعلن التمرد والعصيان على الدولة العثمانية وأن يكف عن دفع الجزية، على أن يوفر له الجيش الروسي الحماية، مما اضطر الدولة إلى إرسال قوات لعزله وتنصيب أحد أقربائه ويدعي طهماسب، كما كانت روسيا تحاول أن تكسب تأييد نصاري اليونان والـ (قرة داغ)، و (الأرناؤوط)، و (الأفلاق والبغدان)، وبصفة عامة كانت روسيا تشعل الثورات في البلقان باستمرار(٥٣).

وفي نفس الصدد، قامت روسيا ببناء القلاع الجديدة، وتعد العدة على طول الحدود مع الدولة العثمانية، خلافا للمعاهدة الموقعة بين الطرفين، ومن ناحية أخرى، قامت روسيا بممارسة الضغوط الشديدة على الدولة من جميع الجهات(٥٤).

وبالفعل بدأت روسيا بكسر بنود معاهدة بلغراد خاصة بعد موت أغسطس الثالث ملك بولونيا عام ١٧٦٣م، لذلك قامت روسيا بالتدخل في شؤونها الداخلية مع أنها تعهدت في بلغراد بعدم التعرض لشئون بولونيا الداخلية، حيث نجحت عن طريق الضغوط في انتخاب ستانيسلاس بونياتوفسكي ليكون ملكا عام ١٧٦٤م، على ذلك ازدد الضغط الروسي في بولونيا(٥٥)، وبسبب تلك الإجراءات السابقة لات لم يرضي بها طائفة من مجلس الأمة البولوني، واستجاروا بالسلطان مصطفي الثالث (١٧٥٧ - ١٧٧٣م) عام ١٧٦٥م، ولكن الصدر الأعظم محسن زادة محمد باشا كان يعارض الدخول في حرب مع روسيا لأن حالة الجيش يلزمها إصلاحات كثيرة قبل الدخول في الحرب، ولكن سائر الوزراء خالفوه في ذلك، ومن جهة أخرى كانت فرنسا تحرض الدولة على قتال الروس لأن وصول روسيا إلى بحر البلطيق يجعلها قريبة من حليفتها إنجلترا العدو اللدود لفرنسا، وظل الصدر الأعظم متمسكا بموقفه حتى دخل عام ١٧٦٨م، فعزل وتولي الصدارة العظمي سلحدار ماهر حمزة باشا، فأرسل مذكرة إلى روسيا يطالب فيه بسحب قواتها من بولونيا ونعدم التدخل في شئونها وفقا للاتفاقيات المعقودة، فرفضت روسيا المذكرة مما أغضب الصدر الأعظم فقام بحبس السفير الروسي، مما ينذر بإعلان الحرب(٥٦).

وبسبب تعدي القوات الروسية الحدود مع الدولة ودخولها إلى القرم لمطاردة البولونيين الفارين واستيلائها على مدينة (يالطة) بعد ذبح عدد من السكان، وقام خان القرم بالتصدي لهم عن طريق هجوم مفاجئ مع جيشه البالغ ١٠٠ ألف من الفرسان في ٣١ يناير ١٧٦٩م وأغار على الأراضي الروسية وعاد خان القرم منتصرا ومحملا بالغنائم والأسري(٥٧).

نتيجة لذلك توجه الصدر الأعظم محمد أمين باشا، فقد تحرك من صحراء داود باشا في أواخر مارس متوجها إلى قلعة خوتين للمحافظة عليها من أيدي الروس، لكن وبينما كان الجيش العثماني في الطريق، تمكن كل من مولدووانجي على باشا وخان القرم دولت كيراي من إيقاع هزيمة قاسية بالقوات الروسية في هجوم شناه على خوتين، وقد لقب السلطان

مصطفي الثالث بلقب غازي عقب وصول أنباء هذه الانتصارات[٥٨]. وتعود أهمية خوتين لكونها بوابة بلاد بولونيا، وهي تقع على نهر دينيستر[٥٩] ولا يمكن دخول الروس إلى بولونيا والأفلاق والبعدان دون سقوط قلة خوتين[٦٠].

ومع خروج هذه الحملة، سرعان ما ظهر ضعف قدرات الصدر الأعظم محمد أمين باشا، ولولا مساعدة مولدووانجي على باشا ودولت كيراي خان القرم، لتمكن الروس من هزيمته ولسقطت قلعة خوتين، ونتيجة لضعف قدراته العسكرية، أصدر السلطان مصطفي الثالث أمر بعزله من الصدارة وقتله وتولي الصدارة مولدووانجي على باشا الذي حاول عبور نهر دينيستر للقضاء على دابر الروس على الضفة الثانية للنهر، لكن وبينما يعبر مولدووانجي النهر فاض فيضانا كبيرا فاضطرب الجنود فتحطم الجسر بعد أن عبر ستة آلاف منهم فقط فأصبحوا معزولين عن سائر الجيش، فاحصرهم الجيش الروسي وقتلهم عن آخرهم، ونتيجة لتشتت الجيش العثماني، واقتراب حلول الشتاء تخلت القوات العثمانية عن قلعة خوتين فاستولي عليها الروس بسهولة، ودخلوها في ٢١ سبتمبر وشاهدوا بدهشة عدم بقاء جندي عثماني واحد، ووجد ٣٠٠ مدفع وبجواره عتاد ضخم على حاله، وهكذا انقلبت الحرب التي بدأت بانتصار العثمانيين، إلى سقوط خوتين في خريف عام ١٧٦٩م بيد الروس، ودخل الروس إلى تنقاسيا كذلك واستولوا على بعض الأراضي التابعة للدولة ال عثمانية[٦١].

بعدها تم عزل على باشا وتولي الصدارة بدلا منه ايواز زاده خليل باشا، وعلى الفور تقدم بالجيش لصد التقدم الروسي الذين قد دخلوا الأفلاق والبغدان، وقام الجيش العثماني بعبور صحراء قرتال، وقام بحصار الجيش الروسي الذي كان قوامه ١١٨ ألف جندي، ويعاونه في ذلك قوات عبدي باشا وخان القرم دولت كيراي، إلا أن قيام خليل باشا بإرهاق الجند في حفر الخنادق حول المنطقة بدلا من الهجوم على العدو، تمكن الروس من التجمع وتنظيم جيوشهم وإلحاق الهزيمة بالجيش العثماني عام ١٧٧٠م، وقد استشهد في معركة فارتال هذه حوالي ثلث الجيش العثماني، كما وقع قسما عظيما من مهمات الجيش وذخائره في يد الروس، وبذلك سقطت في يد الروس قلاع عديدة مثل بندر و إسماعيل وأيبرايل وآق كرمان وكيلبي، لذلك أصبحت الا٥فلاق و البغدان في خطر كبير، وعندئذ وبعد أن حقق الروس هذا الانتصار، أراد القائد الأعلى للجيوش الروسية رومانزوف عرض الصلح على الجيش العثماني التي ضربت خيامها في منطقة (بابا داغ)، إلا أن هذه

الخطوة باءت بالفضل نظرا لرغبة النمسا وبروسيا في التوسط بين الطرفين[٦٢].

وفي هذه الأثناء كانت رسل الروس تعلم على إثارة الخواطر في بلاد المورة حتى إذا استعد الأهالي للتمرد والعصيان خرجت بعض السفن الروسية من بحر البلطيق قاصدة بلاد اليونان بعد الطواف حول أوروبا الغربية[٦٣]. بعد اجتياز تلك المسافة وصلت السفن الروسية البحر المتوسط، بمساعدة الضباط الإنجليز، والجدير بالذكر أن العثمانيين قد استبعدوا قيام روسيا بهذه الخطوة على الرغم من التحذير الفرنسي، وبالفعل استولي الروس على بعض المدن اليونانية وقاموا بتشجيع الأهالي على العثماني، وعندما وصل الروس بمساعدة الجنرال الإنجليزي القنستون إلى سواحل المورة في مارس ١٧٧٠م، وقد استهدف الروس من هذا التحرك إغلاق مضيق جناف قلعة واحتلال بعض الجزر الخاضعة للدولة العثمانية في تلك المناطق، وتوسيع حركة العصيان في المورة لتمتد حتى سلانيك أيضا، وفي هذا السبيل قامت القوات الروسية بالتعاون معم القوات الروسية بمحاصرة أهم قلاع المورة، وأقاموا مذابح عظمية للمسلمين في تلك المناطق[٦٤].

وفي السياق ذاته، خروج الروس من ميناء كورون قاصدين جزيرة ساقز فالتقت بالمراكب العثمانية في المضيق المار بين الجزرة وساحل آسيا وبعد أن استمر القتال عدة ساعات انتصر العثمانيون[٦٥]، وقد قام محسن زادة محمد باشا بقذف الروس إلى البحر وقتل ٧٠ ألف من الروم العصاة الذين قد سفكوا دماء العثمانيين المسلمين في المورة في ٩ أبريل عام ١٧٧٠م[٦٦]، وبعد الانتصار عاد العثمانيون إلى ميناء جشمة[٦٧] فتبعهم حراقتان[٦٨] من مراكب الروس، ظن العثمانيون أنهم فارون من دونانمة العدو وآتون للانضمام إليهم فلم يعارضوهم في الدخول إلى الميناء، فبمجرد دخولهم القوا النيران على المراكب العثمانية فاشتعلت واحترقت عن آخرها باشتعال ما كان بها من البارود في ٥ يوليو عام ١٧٧٠م[٦٩].

وتشير الدلائل أن الأميرال الفنستون قصد الهجوم على مدينة استانبول لعدم وجود ما يمنعه من الاستحكامات من المروة في بوغاز (مضيق) الدردنيل، ولكن لم يوافقه القائد ارلوف على ذلك ففضل احتلال جزيرة لمنوس قبل ذلك لتكون قاعدة لأعمالهم الحربية فحاصرها، وتمكن في أثناء ذلك البارون دي توت المجري الذي دخل في خدمة الدولة العلية، من تحصين مضيق الدردنيل وبناء القلاع فيه على ضفتيه وتسلحيها بالمدافع الضخمة حتى

صار المرور منه من رابع المستحيلات، ثم حول عدة مراكب تجارية إلى سفن حربية بوضع المدافع فيها، وزيادة على ذلك كلفه السلطان مصطفي الثالث بإنشاء مسبك لب المدافع باستانبول وبترتيب الطوبجية على النظامات الجديدة فقام بالأمر خير قيام وأسس مدرسة لتخريج ضباط للطوبجية وأركان حرب متعلمين الفنون العسكرية الحديثة وأخري لتربية ضباط للبحرية، كان مركزها بالترسانة، تخرج منها في قليل من الزمن عدة قباطين قادرين على أخذ الارتفاعات ورسم بعض الشواطئ بالطرق الهندسية المضبوطة(٧٠).

والشاهد من المصادر، أنه وأثناء وجود الأسطول الروسي في البحر المتوسط، قدم الروس المساعدات لـ (بلوط قابان على باشا) (٧١) الذي أعلن عصيانه في مصر، وخربوا مدينة بيروت بالمدفعية، وحالوا إجراء عملية إبراز للجند هناك(٧٢).

ونتيجة لهذه الإصلاحات التي تمت هاجم القبطان حسن بك مع بعض السفن الحربية سفن الروس المحاصرة لجزيرة لمنوس عام ١٧٧١م وألزمها رفع الحصار عنها بعد مقاتلة خفيفة، وكوفي حسن بك على هذا الانتصار بتعيينه قبطان باشا للدولة العثمانية ورقي إلى رتبة باشا، ومن جهة أخرى لم يفلح الروس في طرابزون إلى أرادوا الاستيلاء عليها، وبالاختصار كان النصر حليف الجنود العثمانية برا وبحرا إلا في بلاد القرم فقد احتلها البرنس دلجوروكي الروسي ثم أعلن بانفصالها عن الدولة واستقلالها تحت سيادة وحماية روسيا وأقام من يدعي جاهين كراي خانا عليها باسم كاترينة الثانية(٧٣). ولأول مرة في التاريخ تضع روسيا يدها على شبه جزيرة القرم.

واستطاع الروس السيطرة على بعض المناطق الحصينة في بلاد القرم مثل كفة ويكني قلعة وكرج وغيرها من المناطق الحصينة، وبعد أن وصلت أنباء عن سقوط القرم إلى استانبول، صدرت الأوامر للصدر الأعظم الجديد محمد باشا بالتوجه إلى اوزي حيث أوقع هزيمة بجيش روسي كان متوجها إلى هناك وتمكن من استرداد قلعة تركوكي، إلا أن الروس انتهزوا فرصة إقامة الجيش العثماني لخيامه، فعبورا نهر الطونة واستولوا على سواحل اياقجي وطوبجي، كما هاجموا بابا داغ التي تركت دون أي دفاعات تذكر، الأمر الذي جعل الجيش العثماني الذي كان يعوزه التنظيم والقيادة الحكيمة الشجاعة، ينسحب إلى منطقة حاجي أوغلي بازاري وهو في حالة انهيار تامة، وفي هذه الأثناء ألحقت بالقوات التي عينها محسن زادة محمد

باشا الصدر الأعظم الجديد، للتوجه صوب بوركش هزيمة قاسية في ١١ ديسمبر ١٧٧١م؛ وعندئذ بدأ الصدور الأعظم في التمهيد لإجراء هدنة بين روسيا والدولة العثمانية[٧٤].

وفي ١٠ يونيو عام ١٧٧٢م تهاون الفريقان بناء على توسط النمسا و روسيا وأمضيت الهدنة في مدينة جورجيو من مدن البلغاريا و أرسل كل منهما مندوبيه للمخابرة في شأن الصلح إلى مدينة فوكشان[٧٥] بولاية البغدان، فاجتمع المؤتمر أول اجتماع في ٨ أغسطس عام ١٧٧٢م و بعد أن اتفق الجميع على مد أجل المهادنة إلى ٢١ سبتمبر عام ١٧٧٢م طلب مندوبو كاترينة الاعتراف باستقلال تتار القرم وحرية الملاحة لسفن روسيا التجارية في البحر الأسود وجميع بحار الدولة العلية، ولما لم تقبل الدولة هذه الشروط انفض الجمع على غير جدوى ثم مدت المهادنة سبعة أشهر، واجتماع المؤتمر ثانيا في مدينة بوخارست في ٩ نوفمبر عام ١٧٧٢م وفيه طلبت كاترينة بلسان مندوبها طلبات أكبر إجحافا بحقوق الدولة وأرسلت بها بلاغا نهائيا في ١٥ نوفمبر عام ١٧٧٣م وهي:

١. أن تتنازل الدولة لروسيا عن حصن كريش[٧٦] ويكي[٧٧] قلعة حفظا لاستقلال القرم.

٢. أن تمنح المراكب الروسية تجارية كانت أو حربية حرية الملاحة في البحر الأسود وبحر جزائر اليونان.

٣. تسليم ما بقي من حصون القرم مع الدولة العلية إلى التتر.

٤. إعطاء جرجوارغيكا، في ولاية الأفلاق على أن تكون لأولاده من بعده.

٥. التنازل عن مدينة قلبورن[٧٨] لروسيا وهدم حصون مدينة اوكزاكوف[٧٩] (اوزي) على البحر الأسود.

٦. أن يعطي لقب باديشاه إلى قيصر أو قيصرة روسيا في المعاهدات والمخاطبات السياسية.

٧. أن يكون للروس حق حماية جميع المسيحيين الأرثوذكس في بلاد الدولة العثمانية[٨٠].

ويتضح من تلك الشروط أن روسيا تريد الاستمرار في الحرب لكونها شروط مجحفة وهي على دراية بأن الدولة لن تقبل هذه الشروط بأي شكل من الأشكال.

وتشير الدلائل بأن الدولة أصدرت أوامرها للجيوش باستئناف القتال بكل شدة

خصوصا في بلاد الطونة، فانهزم الروس أمام مدينة روستجوف[٨١] وكذلك أمام مدينة سلستريا[٨٢] التي حاولوا الاستيلاء عليها في ٣٠ مايو عام ١٧٧٣م، بعد أن قتل منهم ٨٠٠٠ جندي، وبمناسبة هذا الانتصار منح السلطان لقب غازي للقائد عثمان باشا الذي حمي المدينة فتقهقر الروس، وفي رجوعهم مروا بمدينة بازارجق[٨٣] ولما لم يجدوا بها حامية قتلوا جميع من فيها من شيوخ ونساء وأطفال، وبمجرد ما شعروا بقدوم الجنود المظفرة انسحبوا منها بكل سرعة تاركين أمتعتهم، حتى قال المؤرخ (همر): أن العثمانيين وجدوا اللحم في القدور على النار، وهذا مما يدل على ما وقع في قلوب الجنود الروسية من الرعب من الأسود العثمانية التي لولا عدم كفاءة أو قلة صداقة بعض قوادهم لما علموا للتقهقر أو الهزيمة اسما[٨٤]. وفي تلك الأثناء توفي السلطان مصطفي الثالث في ٢١ يناير عام ١٧٧٤م، وتولي من بعده السلطان عبد الحميد الأول (١٧٧٣ - ١٧٨٩م).

تولي السلطان عبد الحميد الأول السلطنة في وقت عصيب، حيث انتهز الروس الفرصة وأرسلوا إمدادات كثيفة لجيشهم في الروميللي، فزحف نحو وارنة[٨٥] والتقي مع الجيش العثماني بقيادة الصدر الأعظم محسن زادة محمد باشا، فلما انتصر الروس٧ على طليعة الجيش واقتربوا من معسكر الصدر الأعظم، أعلن الصدر الأعظم قبوله للصلح على الشروط التي سبق أن رفضتها الدولة. وعلى ذلك تم عقد معاهدة كوجك قينارجة الصغرى عام ١٧٧٤م: وأهم بنودها كما يأتي:

١. استقلال القرم وعدم تدخل أي من الدولتين في انتخاب الخان الذي يحكمها، على أن تبقي شئونهم الدينية من اختصاص السلطان لكونه خليفة للمسلمين.

٢. أن ترد روسيا القلاع والحصون التي استولت عليها من القرم إلى الخان فيما عدا تلقي كريش ويني قلعة.

٣. أن ترد روسيا إلى الدولة العثمانية الأفلاق والبغدان بشروط منها عدم منع النصارى فيهما من بناء كنائس جديدة وترميم الكنائس القديمة وأن تحصل منهم الجزية كل عامين.

٤. أن ترد روسيا القلاع التي استولت عليها في كورجستان بشرط أن تكف الدولة عن تحصيل الجزية من أهلها وألا تتعرض لأموال الكنائس وألا تمنع بناء الكنائس وترميمها.

٥. أن ترد روسيا للدولة العثمانية جزر البحر المتوسط التي استولت عليها بنفس الشروط في البند السابق، على أن تسحب روسيا أسطولها في خلال ثلاثة أشهر.

٦. أن تحصل روسيا على آزوف كما تحصل على شريط ضيق على ساحل البحر الأسود بين نهر اوزي (الدنيبر) ونهر آفصو (البوج).

٧. السماح لروسيا ببناء كنيسة أرثوذكسية داخل استانبول مع منحها حق حماية النصارى الأرثوذكس في أنحاء الدولة.

٨. أن يصير حاكم روسيا في المراسلات الرسمية إمبراطور عموم روسيا.

٩. أن تتمتع روسيا بنفس الامتيازات التجارية والقنصلية، التي تتمتع بها كل من فرنسا وانجلترا، ويجوز أن تسمح الدولة لروسيا بعقد اتفاقيات تجارية، مع ولايات البحر المتوسط ليبيا وتونس والجزائر.

١٠. وقد أضيف إلى المعاهدة بأن سريان الأموال: أن تدفع الدولة لروسيا غرامات حربية قدرها ١٥ ألف كيس. وهي المرة الأولي في التاريخ التي تدفع فيها الدولة العثمانية غرامات حربية. والثاني: تعهد روسيا بسحب أسطولها من البحر المتوسط في مدة أقل من الثلاثة أشهر إن أمكن(٨٦).

وبموجب معاهدة كوجك قيتارجة استطاعت روسيا التدخل وفي أي وقت داخل الأراضي العثمانية.وكانت هذه المعاهدة هي نقطة تحول في التاريخ، فلأول مرة في التاريخ تغلب دولة أوروبية لوحدها في حرب شاملة، الدولة العثمانية وأن الدولة التي كانت حتى هذا التاريخ، الدولة الأولي في العالم، سقطت من حيث القدرة إلى الدرجة الرابعة بعد إنجلترا وفرنسا وروسيا بالتسلسل(٨٧).

ولا نزاع في أن العلاقة بين الدولة العثمانية وروسيا ستختلف عن السابق، فالدولة كانت تعامل روسيا على أنها دولة صغيرة لكنها وبعد إبرام المعاهدة الأخيرة مجبرة على وضع روسيا في مصاف الدول الكبرى. مما يضعها في مأزق كبير لكونها دولة الجوار.

٤. الحلف الروسي ـ النمساوي الثاني ضد الدولة العثمانية (١٧٨٧ ـ ١٧٩٢م):

وصلت الدولة العثمانية إلى حالة كبيرة من الضعف، وبموجب المعاهدة الأخيرة

(كوجك فينارجة الصغرى) حصلت شبة جزيرة القرم على استقلالها عن الدولة العثمانية، وظلت التبعية الدينية فقط، وقد رأت روسيا في استقلال القرم خطوة نحو ضم أراضي هذه المنطقة إلى أراضيها، بينما كانت الدولة العثمانية تري من الضرورة القصوى أن توضع تلك المنطقة تحت سيطرتها كما كان الحل من قبل، وفي هذه الحالة كان الصلح مع الروس مؤقت[٨٨]. وبالفعل كان كل طرف يعد العدة للانقضاض على الآخر فروسيا تجهز جيوشها من ناحية والدولة العثمانية تضمد جراحها من ناحية أخرى وتستعد لاسترداد القرم.

والجدير بالذكر أن القرم كانت هي الحاج. البشري بين الدولة العثمانية وروسيا، وضيعها سيسبب مشالك كبير للدولة العثمانية، فوقوع القرم في يد الروس يعني وقوع استانبول تحت التهديد المباشر[٨٩].

وعلى أية حال هذا ينذر بدخول الدولة العثمانية حرب جديدة مع روسيا، ومع ذلك فلم تكن تري الدولة نفسها مهيأة بعد أ لخوض مثل هذه الحروب، وكان من نتيجة ذلك العجز أن فشلت وثقة التعديل (تنقيحنامة) التي جري الاتفاق عليها في ٢٢ مارس عام ١٧٧٩م في قصر (آنية لي قواق) في استانبول في أن تأتي بتغير يذكر عدا التصديق على الوضع الذي نصت عليه معاهدة كوجك قينارجه الصغرى بشأن القرم، وعلى الرغم من نقاط الوفاق الجديدة مثل الإقرار ببقاء القرم مستقلة وانسحاب العساكر الروس والاعتراف بالأمير شاهين كراي خانا للقرم والاعتراف بحقوق السلطان العثماني عليها باعتباره الخليفة فقد ظلت الاحتكاكات جارية بني الطرفين[٩٠].

والواضح هنا أن شاهين كيراي قد ابع سياسة في القرم من شأنها زيادة النفوذ الروسي، وصبغ القرم نفسها بالصبغة الروسية[٩١]، وكانت كاترينة الثانية تطمح منذ البداية في الاستيلاء على القرم فتحق لها ذلك الأمر في النهاية؛ إذ وقع تمرد ضد شاهين كيراي هناك فتذرعت به روسيا وأرسلت قواتها لتحتل القرم بكاملها، ثم أعلنت ضمها إلى الأراضي الروسية، وكانت الدولة العثمانية تدرك مدي تردي الأوضاع التي تعيشها؛ فالجنود لا يتحلون بالنظام، والاستعدادات للحرب غير كافية، الضائقة المالية وغير ذلك، ثم ما وضعه الدولة في حسبانه آمن أنها لن تحصل على أي عون من إنجلترا وفرنسا اللتين كانتا مشغولتين بحرب الاستقلال الأمريكية، ومن ثم احتدم الصراع بينهما طويلا، وعلى ذلك لم تجد.

الدول العثمانية أمامها سوي الرضوخ للأمر الواقع الذي فرضته روسيا، واعترفت رسميا من خلال وثيقة قدمتها في ٨ يناير عام ١٧٨٤م بأن القرم أصبحت ملكا لروسيا(٩٢).

علاوة على ما تقدم، رأت الدولة العثمانية في سكوتها على احتلال روسيا للقرم، هو حال مؤقت فرضته عليها ضرورات الواقع، فواصلت الاستعداد للحرب ن وكان احتلال الروس للقرم قد دفع مئات الآلاف منا لمسلمين هناك إلى ترك ديارهم والنزوح إلى الأراضي العثمانية، مما أشعل عواطف المسلمين وأوصي قلوبهم وأثار فيهم سخطا عظيما(٩٣).

وكانت كاترينة الثانية تسعي إلى تحقيق أطماعها في تقسيم الدول العثمانية وهو مشروع يوناني تستهدف من خلاله بعث الإمبراطورية البيزنطية من جديد، وقد قامت كاترينة الثانية بتسمية حفيدها الذي ولد عام ١٧٧٩م باسم ذي مغذي هو قسطنطين، ثم رسم خرائط لتقسيم الدولة ال عثمانية، ودخولها في مباحثات جادة حول موضوع التقسيم في مدينة موخليوف مع جوزيف الثاني حاكم النمسا عام ١٧٨٠م(٩٤).

وقد فاض الكيل ونفذ صبر الدولة العثمانية بسبب تلك الاجتماعات بني كاترينة الثانية وإمبراطور النمسا جوزيف وتخطيطهم للاستيلاء على استانبول وتقسمني الدولة العثمانية فيما بينهم، لذلك قامت الدولة العثمانية بإرسال إنذار شديد اللهجة لسفير روسيا في استانبول يتضمن ٧ مواد طلبت ردا قاطعا فيها؛ إلا أن الروس لم يعلقوا على أي من هذه المواد، الأمر الذي جعل الدولة ال عثمانية تصدر قرارها بإعلان الحرب على روسيا في ١٣ أغسطس عام ١٧٨٧م(٩٥).

كان على الدولة العثمانية استرداد القرم، وبالفعل بدأ تحرك الجيوش من منطقة قوبان وعين شاهبراكيراي خانا على القرم، وإذا كانت الإدارة العثمانية قد خططت لفتح جبهة آخر في نواحي القفقاس لتشتيت القوي الروسية، وذلك بالاستفادة من خانات داغستان وأزربيجان، إلا أن هذه الخطة لم تثمر عن أي نتيجة تذكر، وفي هذه الأثناء، كانت قوات وإلي اوزي إسماعيل باشا قد تلقت هزيمة من الجيش الروسي أمام قيلبور عام ١٧٨٧م، وبينما كان الصدر الأعظم قوجة يوسف باشا يتم استعادته لخروج الجيش العثماني إلى الحملة على الأراضي الروسية، إذا بالأنباء تصله معلنة دخول النمسا الحرب إلى جانب روسا في ٩ فبراير عام ١٧٨٨م، أي بعد إعلان الدولة الحرب على روسيا بحوالي ستة

أشهر، حيث كانت الأحلام تراود كل من روسيا والنمسا في الاستيلاء على الأراضي العثمانية، ولذلك نقضت النمسا العهد بغرض انتهاز الفرصة(٩٦)، نتيجة لذلك حدث ارتباك كبير بعد التطور في الحادث.

وقد أحرزت القوات العثمانية بعض الانتصارات على جبهة النمسا، لذلك ركزت هجومها على هذه الجبهة وأرسل الصدر الأعظم السابق شاهين على باشا وقائد الجند إسماعيل باشا إلى الجبهة الروسية، وكان استعادة القوات الثمانية المرأة الأفلاق، وساعدة شاهبار كياري لمدة ياش التي كانت تحت الاحتلال النمسا قد خلق حالة من السعادة والأمل السادسة سوءا في القصر العثماني اوش المجتمع وسيطر العثمانيون على ايالة مشوار وقلعتها الحصينة في موهاج، واستمر تقدم الجيش ال عثماني حتى انسحب إلى وسجق لقضاء موسم الشتاء هناك، قام الجيش النمساوي بحركة مضادة منتهزا هذه الفرصة، واحتل هذه المناطق التي فتحت، وشرع في الهجوم على البوسنة(٩٧).

وعلى أية حال، فقد حشد الروس ٢٥٠ ألف جندي على طول حدودهم مع الدولة العثمانية؛ وعلاوة على ذلك انضم خان تفليس بقواته إلى الجيش الروسي الموجود في جبهة القفقاس، وعلى أثر هجوم مشترك قامت به القوات الروسية والنمساوية احتلت قلعة ياش مرة أخرى، حيث أعلنت خوتين التي حرمت من أي مساعدة عسكرية التسليم للروس في يناير ١٧٨٩م، وفي البحر الأسود، قام الرسول بالنزول إلى بحر آزوف وسيطروا على القرم وانشئوا أسطولا كبيرا، وقد تمكن الغازي حسن باشا الجزايرلي من هزيمة الأسطول الروسي، لكنه فشل في فك الحصار الذي ضربه الروس على قلعة اوزي، وسقطت في النهاية في يد الروس، وقتل الروس عدد كبير من الأهالي العزل والذي يصل عددهم حوالي ٢٥ ألف، لذلك انتفضت استانبول، وأصيب السلطان عبد الحميد الأول الحزن الشديد فمرض ولم يلبث أن توفي في ٧ مايو ١٧٨٩م(٩٨).

تولي سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧م) أمور السلطنة، الذي حاول إصلاح الشئون المالية والعسكرة أ للدولة العثمانية، وقام بخطوات تحفيزية للجنود العثمانيين، فقد قام بزيادة مرتباتهم كما صرف لهم: مكافآت إضافية، وعمل جاهدا على إثارة الجنود ضد الروس(٩٩)، وسبب حماس سليم الثالث أراد للذهاب نفسه إلى الحرب وقيادة الجيش، لإعادة أمجاد

الدولة كما كانت، لكن بعض الوزراء قاموا بالاعتراض على هذا التصرف وهذه الرغبة، معللين اعتراضهم بأن مثل هذه الخطوة لا يحمد عقباها في ظل عدم ثبات الجنود في ميادين القتال في القرم[١٠٠].

ونتيجة لسقوط اوزي، فقد احتل الروس الأفلاق والبغدان، واستطاعت القوات النمساوية تحقيق نجاحا عظيمة في صربيا والبوسنة[١٠١]، وقد سقطت بلغراد في ٨ أكتوبر عام ١٧٨٩م ومع هذا جاء شتاء عام (١٧٨٩ – ١٧٩٠م) مثلا بالأحداث ال دفعت كلا من روسيا والنمسا إلى طلب الصلح. فقد كانت بروسيا مشتبكة في حرب مع روسيا[١٠٢].

ولا نزاع في أن ظهور بروسيا في مجريات الأحداث ومحاولتها الحفاظ على نظام القوي حتى لا تتوسع روسيا، فبروسيا ترتبط مع الدولة العثمانية باتفاقية دفاع مشترك ضد روسيا والنمسا، وبالفعل دعت بروسيا كلا من روسيا والنمسا لعقد الصلح مع الدولة العثمانية، ولتعزيز هذا الطلب ساقت بروسيا جيشا كبيرا على الحدود لإجبارها على الصلح مع الدولة العثمانية[١٠٣]. ويزيد على ذلك القلق الذي اجتاح أوروبا بأكملها بعد الثورة الفرنسية، والنمسا بوجه خاص بسبب القرب الجغرافي من روسيا وفرنسا، فمن الطبيعي أن يمهد ذلك الطريق أمام الدولة العثمانية لعقد الصلح شروط معقولة[١٠٤].

وعلى أية حال، فقد أبدي إمبراطور النمسا (لوبولد الثاني) رغبه في إنهاء الحرب مع الدولة العثمانية، كان لهذه الرغبة صداها لدي الباب العالي، حيث قام سفراء كل من إنجلترا وهولندا بالتوسط في المحادثات التي عقدت بين الطرفين في أغسطس ١٧٩٠م[١٠٥]، وأخيرا وفي ١٨ سبتمبر عام ١٧٩١م تقرر توقيع معاهدة سلام في (زيستوفي)، حيث وقعت فعلا في ٣ أغسطس عام ١٧٩١م، بعد فترة هدنة لفصل القوات استمرت ستة شهور، وقد تضمنت هذه المعاهدة ١٤ مادة وخاتمة، واتفق على أن تكون ساري المفعول لمدة ٥٠ عاما، وبموجب هذه المعاهدة، تقوم النمسا بإعادة الأراضي التي استولت عليها من الدولة بما فيها بلجراد، علاوة على إجراء بعض التعديلات الضرورة في الحدود بين الطرفين[١٠٦].

بموجب المعاهدة مع النمسا، قامت الدولة العثمانية بتوجيه قواتها إلى الجبهة الروسية، لكن استطاع الجيش الروسي الذي ازداد قوة تحت قيادة المارشال (بوتة مكين) أن يحقق انتصارات هامة في هجومه على القلاع في دلتا نهر الطونة، حيث سقطت في يده قلاع كيلي،

وطاني وباقجي أ وإسماعيل بعد أن فقدت ما يربو على ٨٠ ألف من جنودها، وفي ال عام التالي ١٧٩١م سلمت تاجين للروس، وقد حاولت جيوش الدولة العثمانية استرداد القلاع المفقودة، إلا أن تلك المساعي انتهت بالفشل(١٠٧).

وبرغم الوساطة الإنجليزية الهولندية لإنهاء الحرب، إصر سليم الثالث على مواصلة الحرب حتى يسترد القرم، غير أن حالة الفوضى المتفاقمة التي كانت عليها الجيوش العثمانية لم تكن تبعث على الأمل في استمرا ال الحرب بنجاح؛ وأصبح عقد هدنة في (قلاس) أمرا لا مفر منه في ١١ أغسطس عام ١٧٩١م، واستطاع مندوبو الطرفين بعد مفاوضات دامت حتى ١٢ جلسة، حيث اختتمت في (ياش) في ١٠ يناير ١٧٩٢م، وعلى ذلك تتخلي الدولة ال عثمانية بشكل قاطع عن املها في استعادة القرم مرة ثانية، وتجبر على زحزحة حدودها إلى الوراء من نهر الديستر وقوبان، وتتخلي لروسيا عن اوزي وأراضيها، أما على سواحل تلك الأراضي المفقودة فسوف يقام بعد مدة ميناء أوديسا الذي سيشكل في المستقبل أساس القوة البحرية الروسية في البحر الأسود ١٧٩٦م، وكانت معاهدة ياش تؤكد على سريان مفعول المعاهدات السابقة التي جري عقدها بين الدولتين (١٧٧٤، ١٧٧٩، ١٧٨٤م)، وأعادت روسيا من جديد مناطق الأفلاق والبغدان، وبندر، وإسماعيل، وكيلي، وآق كرمان، وبوجاق التي استولت عليها أثناء الحرب، كما اتضحت ساحة النفوذ بين العثماني والروس في منطقة القوقاز واضطرت الدولة العثمانية إلى التراجع هناك أيضا(١٠٨).

وفي نهاية القرن ١٨م ظهر فيه وبوضح الضعف الذي أصاب الجيوش العثمانية، وتفاقم الأزمات المالية والاقتصادية داخل الدولة، أثر ذلك وفي النهاية على مكانة الدولة وأصابتها بهزائم متتالية وقاسية خاصة من روسيا القيصرية.

Abstract:-

In the 18 th century, there were many wars and alliances against the Ottoman Empire. Both Russia and Austria drew broad lines in their military relations for their alliance to declare successive wars on different fronts against the Ottoman Empire, exploiting the weakness of the latter and the crises surrounding it.

It is remarkable that the 18th century was a turning point in the power of the Ottoman Empire, as evidenced by the successive defeats suffered by it, where Tsarist Russia exploited all that was precious and precious to the elimination of the Ottoman Empire in Eastern Europe, where the fertile soil of the Russian propaganda is the existence of the Slavic peoples, In race and religion, although these peoples were not subject to Russia for a moment. But often sought their endeavors

هوامش البحث

(١) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط١، بيروت، ١٩٨١م، ص٣١٢؛ شكيب أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق: حسن سويدان، دار ابن كثير، ط١، بيروت، ٢٠١١م، ص٢٤١.

(٢) شارل الثاني عشر عرف عند العثمانيين باسم تيمور ياش، أي ذو الرأس الحديدية، وقد هزم أمام ملك الروس بطرس الأكبر وفر هاربا والتجأ إلى الأراضي العثمانية عام ١٧٠٩م انظر: إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، المطبعة الأميرية، مصر المحروسة، ١٣١٢ هـ، ج١، ص٦١٥.

(٣) يلماز أوزتونا: موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية، ترجمة: عدنان سلمان، الدار العربية لموسوعات، ط١، بيروت، ٢٠١٠م، ج٢، ص ٥٩٥؛ جلال يحي: التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٨٣م، ص١٠٩-١١٠؛حسين مؤنس: الشرق الاسلامي في العصر الحديث، مطبعة حجازي،ط٢،القاهرة،١٩٣٨م،ص ٤٩.

(٤) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص٥٩٥.

(٥) أحمد حامد، مصطفي محسن: توركيه تاريخي قرون جديده وعصر حاضرده استانبولك فتحندن زمانمزه قادار، استانبول،١٩٢٦م،ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٦) حسين خوجة: بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق: محمد أسامة زيد، دار ابن رجب، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م، ج٢، ص٤٣٤ - ٤٣٦.

(٧) سيد محمد السيد: دراسات في التاريخ العثماني، دار الصحوة للنشر، ط١، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٦٢.

(٨) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص٥٩٥؛ سيد محمد السيد المرجع السابق، ص١٦٢، ويختلف عدد الجيش لدي شكيب أرسلان، محمد فريد، فيقدر لديهم بحوالي مائتي ألف جندي من القوات العثمانية والقرمية، انظر محمد فريد: المرجع السابق، ص٣١٣؛ شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص٢٤٢.

(٩) الطونة: هي ولاية عثمانية تقع على نهر الدانوب ويحدها شمالًا الأفلاق وجنوبًا بلاد البلغار. انظر: محمد فريد بك: المرجع السابق ص ١١٦.

(١٠) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص٥٩٥؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٦٢.

(١١) نفس المرجع والصفحة

(١٢) يلماز اوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص٥٩٥.

(١٣) سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ١٦٢ ويختلف العدد عند يلماز أوزتونا الذي يقدره بحوالي ٦٠ ألف جندي روسي. انظر يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص٥٩٥.

(١٤) سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٦٢.

(١٥) فراقط: مفردها فرقاطة، وهي نوع من السفن الحربية الخفيفة المتوسطة الحجم، استعملها العثمانيون في حوض البحر الأبيض المتوسط وفي البحر الأسود منذ أوائل القرن ١٧م. انظر: درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٧٩م، ص١١٥؛ إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار: تحقيق: عبد الوهاب بكر محمد، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ط١، القاهرة ج٢، مج١، ٢٠٠٩م، ص١٠٨٣.

(١٦) حسين خوجة: المصدر السابق، ج٢، ص٤٣٧ - ٤٣٨.

(١٧) سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٦٢؛ جلال يحي: تاريخ العلاقات الدولية، دار المعارف،القاهرة، (د.ت)، ص٦٠٩.

(١٨) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص٥٩٥.

(١٩) حسين خوجة: المصدر السابق، ج٢، ص٤٣٩ - ٤٤٠.

(٢٠) شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص٢٤٢.

(٢١) سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٦٢.

(٢٢) نفسه، ص١٦٣.

(٢٣) شكيب ارسلان: المرجع السابق، ص٢٤٢؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٦٣.

(٢٤) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص٥٩٦.

(٢٥) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص٥٩٦.

(٢٦) محمد فريد: المرجع السابق، ص٣١٤.

(٢٧) حسين خوجة: المصدر السابق، ج٢، ص ٤٤٠ - ٤٤١.

(٢٨) سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٦٣.

(٢٩) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص٥٩٦؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٦٣.

(٣٠) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص ٥٩٧.

(٣١) سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٦٤؛ يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص ٥٩٧.

(٣٢) نفس المرجع والصفحة.
(٣٣) شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص٢٤٣.
(٣٤) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص ٥٩٧.
(٣٥) شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص٢٤٦.
(٣٦) محمد فريد: المرجع السابق، ص٣٢١.
(٣٧) شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص٢٤٦ - ٢٤٧.
(٣٨) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص٦٠٩؛ جلال يحي تاريخ العلاقات الدولية، ص ٧٠٠.
(٣٩) محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٢١ - ٣٢٢؛ شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص٢٤٧.
(٤٠) محمد فريد: المرجع السابق، ص٣٢٢؛ إسماعيل سرهنك: المصدر السابق، ج١، ص ٦٢٣.
(٤١) محمد فريد: المرجع السابق، ص٣٢٢؛ شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص٢٤٧.
(٤٢) روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر، ط١، القاهرة، ج١، ١٩٩٣م، ص ٤٠٧؛
Shaw: History of the ottoman empire and modern turkey, vol1 (cambridgeuniversity press, London) , 1978, p , 244 - 245.
(٤٣) نيش: Nis: يقال لها نيسا وهي مدينة في جنوب الصرب ولا يزيد عدد سكانها عن عشرة آلاف نسمة، واقعة على طريق الموصل إلى إستانبول وسلانيك، حصلت بها عدة وقائع حربية أهمها انتصار الصربيين على جيوش الدولة العثمانية عام ١٨٧٨ أثناء الحرب الروسية الأخيرة. انظر: محمد فريد: المرجع السابق، ص ١٤٧؛ رجب يشاربويا: المسلمون في يوغسلافيا و" الألبانيون " الأرناؤوط " والإسلام "، دار السلام للطباعة والنشر، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣م،ج ١، ص٣٩.
(٤٤) سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٧٥.
(٤٥) محمد حرب: البوسنة والهرسك من الفتح إلى الكارثة، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي والبلقان، ط٢، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٤٩.
(٤٦) محمد فريد: المرجع السابق، ص٣٢٢.
(٤٧) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص ٦١١.
(٤٨) محمد حرب: المرجع السابق، ص٤٩.
(٤٩) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص٦١١ - ٦١٢؛ شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص٢٤٨؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص، ١٧٦ - ١٧٧؛ محمد فريد: المرجع السابق، ص٣٢٢ - ٣٢٣.
(٥٠) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص٦١٢؛ شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص٢٤٨.
(٥١) كاترينا الثانية: هي بنت البرنس (انهلت زربست) الالماني، ولدت عام ١٧٢٩م وتزوجت بالأمير الألماني الذي عينته الامبراطورة اليزابيت وارثاً في الملك. ثم لما تولى زوجها الملك باسم بطرس الثالث استمالت كاترينة أهالي الروسيا إليها. وعزلته في عام ١٧٦٢م. بعد موته توجت هي امبراطورة للروسيا، واشتهرت

بالسير على خطة بطرس الأكبر، فاستولت على بلاد القرم وقلعة ازوف وغيرها واقتسمت مملكة بولونيا مع النمسا والبروسيا وتوفت عام ١٧٩٧م. وكانت محبة للعلوم مساعدة للعلماء على بث معارفهم في بلادها لكن دنست اسمها باتخاذها الاخلاء العديدين من رجال حكومتها بل ومن خدمها.أنظر: محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٢٩-٣٣٠.

(٥٢) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص٦٢٣؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٨٥؛ شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص٢٥٣.

(٥٣) إبراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، القاهرة، ١٩٨٨م، ص١٧٩ - ١٨٠؛ إسماعيل سرهنك: المصدر السابق، ج١، ص٦٢٩؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٨٥.

(٥٤) نفسه، ص١٨٥.

(٥٥) أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، مكتبة الشروق الدولية، ط١، القاهرة، ج١، ٢٠١١م، ص٦٧.

(٥٦) محمد أسامة زيد: المرجع السابق، ج١، ص٢٨٥؛ إبراهيم بك حليم: المرجع السابق، ص١٨٠، إسماعيل سرهنك: المصدر السابق، ج١، ص ٦٢٨.

(٥٧) سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٨٦؛ يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص٦٢٣. ويذكر أوزتونا أعداد الأسري الروس بمئات الألوف لكن هذه الأعداد مبالغ فيها في ذلك العصر، أما شكيب أرسلان يقدرها بحوالي ٢٥ ألف أسير. انظر: شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص ٢٥٢.

(٥٨) سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٨٦.

(٥٩) دنيستر Dhiestr: نهر يفصل بين أوكرانيا ومولدافيا ويصب في البحر الأسود؛ أنظر: محمد فريد: المرجع السابق، ص٣٣٥.

(٦٠) يلماز أوزتونا: المجرع السابق، ج٢، ص٦٢٤.

(٦١) محمد فريد: المرجع السابق، ص٣٣٥؛ محمد أسامة زيد: المرجع السابق، ج١، ص ٢٨٥ - ٢٨٦؛ يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص ٦٢٤؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ١٨٦.

(٦٢) محمد أسامة زيد: المرجع السابق، ج١، ص ٢٨٦؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ١٨٧.

(٦٣) محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٣٥.

(٦٤) سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ١٨٧.

(٦٥) محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٣٦.

(٦٦) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص ٦٢٥.

(٦٧) جشمة: معناها اللغوي بالفارسية عين الماء وتقع هذه المدينة في الرأس الممتد من بر الأناضول إلى الغرب من أزمير.

(٦٨) حراقتان: مفردها حراقة، وهي نوع من السفن الحربية التي ترمي بالنيران، وهي سفن خفيفة وقد استخدمها الفرنسيون في أواخر القرن ١٧م واستخدمها الإنجليز واليونانيون في القرنين ١٨م و ١٩م، وهي كانت عاملة في البحر الأبيض المتوسط. انظر: درويش النخيلي: المرجع السابق، ص ٣٢، ٣٧.

(٦٩) محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٣٦؛ يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص ٦٢٥.

(٧٠) محمد فريد: المرجع السابق، ص٣٣٦ - ٣٣٧؛ شكيب أرسلان المرجع السابق، ص٢٥٣.

(٧١) بلوط قابان علي باشا(علي بك الكبير): هو جندي مملوكي والحاكم الفعلي لمصر من (١٧٦٠ - ١٧٧٢) وهو من المنطقة الإيخازية في جبال القوقاز، وجلب إلى مصر كصبي من العبيد. في ١٧٤٣ قدم إلى (إبراهيم كتخدا) قائد مصر المملوكي وقتئذ، ومنح رتبة كاشف (حاكم محلي) لإحدى محافظات مصر وفي (١٧٥٣ - ١٧٥٤) قاد قافلة الحج المصرية من القاهرة إلى مكة ونظراً لانتصاراته على القبائل البدوية اكتسب لقب (بلوط قبان) Bulut Kapan، (قابض الغمام بالتركية). حصل على رتبة البكوية عام ١٧٥٥م وفي عام ١٧٦٠ حصل على شيخ البلد. انظر: آرثر جولد شميت: قاموس تراجم مصر الحديثة، ترجمة وتحقيق: عبد الوهاب بكر، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص، ٥٠٢ - ٥٠٣؛محمد أنيس: انجلترا وطريق السويس في القرن الثامن عشر، ترجمة: عبد الوهاب بكر محمد، دار الكتب والوثائق القومية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص٩.

(٧٢) سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٨٨. وللمزيد عن مساعدة الروس لـ على بك الكبير. انظر: عبد الوهاب بكر: الدولة العثمانية ومصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٨٢م

(٧٣) محمد فريد: المرجع السابق، ص٣٣٧.

(٧٤) سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٨٩؛ محمد فريد: المرجع السابق، ص٣٣٧.

(٧٥) فوكشان: تقع إلى الجنوب الغربي من يأسي في رومانيا الحالية.

(٧٦) كريش: في أوكرانيا.

(٧٧) يكي قلعة: يني قلعة في جزيرة القرم.

(٧٨) قلبون: قلعة في مضيق اوزي.

(٧٩) اوكزاكوف: هي ثغر في الشمال الغربي من البحر الأسود وهو إلى الشمال من أوديسا.

(٨٠) محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٣٧ - ٣٣٨؛ إسماعيل سرهنك: المصدر السابق، ج١، ص٦٢٩ - ٦٣٢.

(٨١) روستجوف: اسم تركي ألغى وتسمي اليوم Razgard وتقع إلى الجنوب الغربي من سيلستريا على نهر الطونة.

(٨٢) سيلستر يا Silistra: تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة بوخارست على نهر الطونة.

(٨٣) بازارجف: وكانت تسمي حاجي أوغلي بازاري وتسمي اليوم توبولخين Tobulkhin وهي إلى الجنوب من سيلستريا.

(٨٤) محمد فريد: المرجع السابق، ص٣٣٨ - ٣٣٩.

(٨٥) وارنة: هي ڤارنة Varna وهي بلد بلغاري سياحي يقع على البحر الأسود.

(٨٦) محمد أسامة زيد: المرجع السابق، ج١، ص ٢٩١. وللمزيد عن بنود المعاهدة انظر: محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٤٢ - ٣٥٨.

(٨٧) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، ج٢، ص ٦٢٦؛ جلال يحي: المرجع السابق، ص٧٩٥.

(٨٨) أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ج١، ص ٧٣ - ٧٣؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٩٣.

(٨٩) أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ج١، ص٧٤.

(٩٠) نفس المرجع والصفحة؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٩٤.

(٩١) نفس المرجع والصفحة.

(٩٢) أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ج١، ص٧٤.

(٩٣) نفسه، ص٧٥؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٩٦.

(٩٤) أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ج١، ص٧٥؛ وللمزيد عن مشاريع تقسيم الدولة العثمانية بالتفصيل. انظر: لوثروب سيتودارد: حاضر العالم الإسلامي: تحقيق: شكيب أرسلان: دار الفكر العربي، دمشق، ط١، ١٩٧٣م، مج٢، ج٣، ص ٢٠٨ - ٦٤٢.

(٩٥) سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٩٦) أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ج١، ص٧٥؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٩٧.

(٩٧) نفس المرجع والصفحة.

(٩٨) أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ج١، ص٧٦؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص١٩٨.

(٩٩) علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية (عوامل النهوض وأسباب السقوط)، دار الدعوة، ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٧م، ص٢٨٤.

(١٠٠) إبراهيم حليم: المرجع السابق، ص١٨٨.

(١٠١) أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ج١، ص٧٦.

(١٠٢) سيد محمد السيد: المرجع السابق، ج ١٩٩ - ٢٠٠؛ أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ج١، ص٧٦.

(١٠٣) أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول: وثيقه رقم ٦٢٣١ / ١٤٨، haylumayan

(١٠٤) أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ج١، ص٧٦ - ٧٧؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص٢٠١.

(١٠٥) أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول: وثيقه رقم ١٤٨/٦٢٢١، Hayhumayan؛ خالد زيادة: المسلمون والحداثة الأوروبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م، ص٨٤.

(١٠٦) أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ج١، ص ٧٧؛ سيد محمد السيد، المرجع السابق، ص٢٠١.

(١٠٧) سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص٢٠١ – ٢٠٢.

(١٠٨) أكمل الدين إحسان أوغلي: المرجع السابق، ج١، ص٧٨.

قائمة المصادر والمراجع

أولا الوثائق:

- أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول: وثيقه رقم ٦٢٢١ / ١٤٨، Hayhumayan.
- أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول: وثيقه رقم ٦٢٣١ / ١٤٨، Haylumayan.

ثانيا المصادر:

- أحمد حامد، مصطفي محسن: توركيه تاريخي قرون جديده وعصر حاضرده استانبولك فتحندن زمانمزه قادار، استانبول،١٩٢٦م.
- إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار: تحقيق: عبد الوهاب بكر محمد، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ط١، القاهرة ج٢، مج١، ٢٠٠٩م.
- إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، المطبعة الأميرية، مصر المحروسة، ١٣١٢هـ، ج١.
- حسين خوجة: بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق: محمد أسامة زيد، دار ابن رجب، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م.

ثالثا المراجع العربية والمعربة:

- إبراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، القاهرة، ١٩٨٨م.
- أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، مكتبة الشروق الدولية، ط١، القاهرة، ج١، ٢٠١١م.
- جلال يحي: تاريخ العلاقات الدولية، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

- جلال يحي: التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٨٣م.
- حسين مؤنس: الشرق الاسلامي في العصر الحديث، مطبعة حجازي، ط٢، القاهرة، ١٩٣٨م.
- خالد زيادة: المسلمون والحداثة الأوروبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، القاهرة، ٢٠١٠م.
- درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٧٩م.
- رجب يشاربويا: المسلمون في يوغسلافيا و"الألبانيون" الأرناؤوط "والإسلام"، دار السلام للطباعة والنشر، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر، ط١، القاهرة، ج١، ١٩٩٣م.
- سيد محمد السيد: دراسات في التاريخ العثماني، دار الصحوة للنشر، ط١، القاهرة، ١٩٩٦م.
- شكيب أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق: حسن سويدان، دار ابن كثير، ط١، بيروت، ٢٠١١م.
- عبد الوهاب بكر محمد: الدولة العثمانية ومصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٨٢م.
- علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية (عوامل النهوض وأسباب السقوط)، دار الدعوة، ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٧م.
- لوثروب سيتودارد: حاضر العالم الإسلامي: تحقيق: شكيب أرسلان: دار الفكر العربي، دمشق، ط١، ١٩٧٣م.
- محمد حرب: البوسنة والهرسك من الفتح إلى الكارثة، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي والبلقان، ط٢، القاهرة، ١٩٩٤م.
- محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، ط١، بيروت، ١٩٨١م.
- يلماز أوزتونا: موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية، ترجمة: عدنان سلمان، الدار العربية لموسوعات، ط١، بيروت، ٢٠١٠م.

رابعا المراجع الاجنبية:

- Shaw: History of the ottoman empire and modern turkey, vol,1 (Cambridge University press, London) , 1978.